على قيثارة الحياة

اللحن الأخير

[هأنا أعزف لحنى وهو اللحن الأخير]
الشاعر الحائر

لست أدرى أيها القلب أأبكى أم أغنّى
فأنا أقضى حياتى بين يأس وتمنّ
تملأ الأفراحُ كأسى ويُريق الكأسَ حزنى
عَجَبٌ حالى مع الدنيا وما أغربَ شأنى

أشتهى الموت على رغمى وأشتاق الحياه
ويهز الشك قلبى ثم أُفْنى فى الصلاه
إنه اليأس الذى يغمر أيامى دُجاه
إنه الحرمان مما تفتن القلب رؤاه

آه لو مرت حياتى نسمة تسرى رُخاء
آه لو عشت بقلبى كيفما شئتُ وشاء
لملأتُ الكون شدواً وهتافاً وغناء
وملأت العمر أفراحاً وأحلاماً وِضاء

اه لـكنى شريد وغريب فى حيـاتى
ماتت الأفراح فى قلبى ، فماتت أغنيـاتى
وطغى اليـأس على عمرى فغشَّى أمنياتى
فتعللتُ من الدنيـا بطيـف الذكريات

يا حيـاتى إننى وحدى على الدنيا شريدُ
عـذب الحرمان أيامى ولـكنى أريـد
وأذلَّ السجن قلبى وطوت روحى القيـود
من أنا يأيهـا الدهر و يا هـذا الوجود

أنا طيـف يقطع الأيام حيران شقيّا
أسـتر الحزن وأخفى دمع عينى بيـديّا
وشـعاع الشمس يؤذينى و يغشى مقلتيّا
ليتنى ما كـنت طيفا ! ليتنى ما كنت حيا

أنا قيثـارة أنغـام فمـالى لا أغـنى
عبث اليـأس بأوتارى وأنغـامى وفـنّى
أيهـا اليـأس ألا تذهب بالأحزان عـنى
إننى ألقيتُ آمالى فخذها . . . ثم دعنى

أنا لحن والِهُ الأنّات مشبوب البـكاءِ
جاء من قيثارة الله إلى هـذا الفضـاء
هو فى الفجر حنـين وأنين فى المسـاء
ليتنى عدت لقيثـارك يا رب السـماء

أنا قلبٌ حائر الأشواق فى دنيا الغوانى
يشتهى قلباً عميق الحب فيَّاض الحنان
يصطفيه بهجة العمر وأفراح الزمان
و يناجيه بسر الحب فى ظل التدانى

أنا روحٌ هائم بين عيون ونهود
حالم بالنشوة الكبرى من الحب الفريد
إنها إشراقة العمر وإشعاع الوجود
ليتها تحرق روحى ثم أحيا من جديد

فى دمى شوق إلى الحب وفى قلبى حنين
و بأيامى صَبابات وفى عمرى فتون
جُنَّ قلبى بالهوى العذرى والحبُّ جنون
وأنا المحروم أيامى شكاة وأنين

أيها الروح الذى أبحث عنه فى زمانى
أيها الروح الذى يدعوه روحى وكيانى
ليت شعرى يا حبيبى أنت فى أى مكان
أقريب من حياتى أم بعيد كالأمانى

أنت لا تعلم ما بى من شجون وعذاب
أنت لا تصغى لأنَّاتى من القلب المذاب
أنت لا تدرك أنى حائر فوق اليباب
أنت لا تعرف أنى ظامئ بين السراب

اللحن الأخير

إننى أصبحت أحيـا فى زمانى مسـتطارا
ثائر الأحزان ليـلا حائر القـلب نهارا
ذاهل اللب اصطبارا ذاهب الفكر انتظارا
لا أرى إلا خيـالاتى وأوهامى حيـارى

أنا قد طوّفت فى الدنيا وفى كفّىَّ كأسى
أطلب الرِّىَّ لروحى—وهى ظمأى—ولنفسى
وأغنى لحن أشـواق وتغـريدة حسى
ثم ماذا ؟ . . . هأنا عدت لأحزانى و يأسى

أنت يا قلبى أما يكفيك شـجوى وانتحابى
أنت يا قلبى أما يكفيك يأسى واغـترابى
هأنا أدفن أحـلامىَ فى هـذا التراب
فعـزاء يا حيـاتى وعزاء يا شـبابى

يا فؤادى إنما الحب سراب فى حيـاتى
يتراءى دافق الأمـواج رحب الجنبات
فاذا سرت إليـه راح يسرى فى الفـلاة
واللظى يُحرق روحى والضنى يقتل ذاتى

خلّنى وابحث عن الحب إذا رمت المحـالا
واطلب الظلَّ من الرمضاء واستسق الرمالا
فأنا ودَّعت أوهامى وشيعت الخيـالا
وأنا جافيت آمـالىَ نوراً وظـلالا

لن ترانى أشتهى الغيد وأشتاق العذارى
لن ترانى أقطع العمر حنيناً وادكارا
سوف أحيا مثلما يحيا غدير فى الصحارى
رفرف الطير عليه ساعة . . . ثم توارى

لا تحدثنى عن الماضى الذى ولّى وضاعا
ذهب الماضى وما نملك للماضى ارتجاعا
فدع الأيام يذهبن من العمر سراعا
وكفانا أيها القلب حنيناً والتياعا

نحن ضيعنا الليالى فى الأمانى والخيال
وتركنا النور يا قلبى وهمنا فى الظلال
وغفونا فرأينا الكون فى أبهى مثال
ثم لمّا أن صحونا لم نجد غير الرمال

أيها اللائم فى يأسى وشجوى وانتحابى
لا تلمنى حين أبكى . . . إننى أبكى شبابى
لا تلمنى حين أشكو . . . إننى أشكو لمابى
أنت لا تعرف أسرارى ولا تدرى مصابى

محنتى أنى تغرّبت عن الدنيا بقلبى
محنتى أنىَ ظمآن ولا ماء بقربى
محنتى أنى أريد الحب . . . لكنْ أىّ حب
محنتى أنى نداء لم يجد سمعاً يلبّى

لو قضيتُ العمر أبكى ما شفى نفسى البكاءْ
إنمـــا عمرى فضـاء فيه أيامى هبـــاء
لم يعـد يخـدعنى الوهم و يُغـوينى الرجاء
وهمومى ليس يجـدى الصـبر عنها والعزاء

هأنا أُمسـك قيثارى ولى قلبٌ كسيرُ
هأنا أعزف لحنى وهو اللحـن الأخـير
إنه رعشـة غصن سـوف تطويه الدَّبـور
إنه أَنات محزون سـتخفيه القبـور

ابراهيم محمد نجا